رحلتي الى الشوا

او من عمر الى اديس ابابا عن طريق التشرشر

للصيدلي القانوني عبدالله افندي ميخائيل رعد (تابع)

عن مقام تادتشا ملكا — الثلاثاء ٢٩ أيار سنة ١٩٠٦

(المرحلة ١٧) سرنا كذلك من نتالي ليلًا على نور المشاعل الى ان اصبح الصباح فكنا قد اجتزنا هكذا مسافة ليست بالهينة من الصحراء حتى اذا بزغت الشمس وعلت اخذت ترسل اشعتها كاللهيب فتابعنا المسير جريًا الى ان اتينا على آخر عرضها من تلك الجهة وبدأنا بالصعود الى اول الاكمات من جهة مملكة الشوا . وبقينا هكذا في صعود وانحدار ووعر وسهل حتى انتهينا الى غابة من اشجار الميموزا تتخللها الادغال فدخلناها وسرنا فيها الى آخرها فانتهينا الى قرية تادتشا ملكا القائمة بجانب نهر «گم» والتي يسكنها جماعة من اهل السودان فوقفنا هناك لنستريح ونسقي الطايا ثم ابتعدنا قليلًا عن القرية وحللنا على رأس رابية على مقربة من النهر المذكور

هذه الجهة وان تكن حرارتها دون حرارة المحطات السابقة من الصحراء انما تُعدّ ايضًا من اطرافها ويدعوها الاحباش بلادًا حارّة وذلك بالنسبة الى اعتدال حرارة بلادهم التي يقطنونها . فكان محلنا معتدل الحر على اننا قضينا بقيّة نهارنا في الوادي المجاور حيث يجري نهر گم المذكور فخفف مجرى الماء وظل الاشجار قوة الحرارة . وقد تناولنا طعامنا على ضفّة النهر تحت ظل شجرة التمر الهندي المعروف وكنّا نرى القرود تأتي جماعات جماعات لتستقي فتذعر لتكبيرنا صفاء مائها وتنهزم فترد في محل ابعد . وقد استحممنا نحو العصر في ماء هذا النهر فشعرنا بلذة حقيقيّة بعد الحرّ الذي رأيناه ثم عدنا الى معسكرنا نحو المساء لنتناول الطعام ونرقد لكنّنا وجدنا الارض حارّة ولم نستطع الرقاد ضمن المضارب المقفلة ففتحنا جهتيها لمعب الهواء . وسنهض غدًا قبل الفجر فنسير جزءًا من مرحلتنا على الرطوبة وننجو من لفحات الحرّ لان الارض هناك مجاورة للصحراء التي منها ينفخ الهواء فيصل الينا حارًا . وسنقطع ايضًا مرحلتين او ثلاث مراحل ريثما يخف الحرّ تدريجًا الى ان نصل الى البلاد المعتدلة من هذه الجهة

عن معسكر طشوبا — الاربعاء ٣٠ أيار

(المرحلة ١٨) عدنا بعد تادتشا ملكا الى الجبال الحبشيَّة ورجع معها الطريق الى الصعود والهبوط فكانت مرحلتنا اليوم كلها تسلق وتحدُّر ومعظمها محصور بين الجبال والاكمات التي لا عشب فيها ولا ماء ولا شجرة فتواه تعطي ظلًّا . ولم نكن نرى الَّا الجبال القرعاء والحجارة السوداء والادغال اليابسة الى ان اقتربنا من طشوبا فشاهدنا بعض مزارع القطن وكان هذا النبات يابساً لان في هذا الصقع لم يأتِ بعدُ موسم الامطار فلذلك كان سيرنا في طرق قاحلة ولم يسقط علينا مطر منذ دخلنا الصحراء . وقد اصلح منليك قسماً من الطريق بين آخر الصحراء واديس ابابا تسهيلًا لنقل الاثقال لاسيَّما لجرّ الادوات الميكانيكية الضخمة التي يستحضرها من وقت الى آخر . فمررنا على قطاع من هذه الطريق الموثرة فألفيناها اسهل جدًّا من المسالك القديمة الوعرة ويا ليت منليك يصلح الطريق كلها فيأتي بعمل نافع جدًّا

اما طشوبا التي نزلنا فيها الآن فهي محل مرتفع لا عشب فيه ولا نبات سوى الادغال وبعضاً من شجيرات الميموزا تُعدّ على الاصابع . ومع ان هذا المحل هو ملتقى القوافل الرائحة والغادية فلا ماء فيه ومن ثمَّ احسنت الحكومة الحبشيَّة اذ عملت للمسافرين صهريجاً كبيراً يتلقّى من ماء المطر فيشرب منهُ الدواب والمسافرون غير البيض وهناك وكيل يستوفي غرشاً عن كل تنكة ماء فتستعيض كذلك المال المصروف على بناء الصهريج وتقوم بمعاش الوكيل القائم على العمل والساهر على نظافة الماء عند سقوط المطر وقد يزيد احياناً الداخل عن الخارج . اما المسافر الابيض فانهُ يصحب معهُ عادةً من محطة اخرى ما يكفيه لحاجته الخاصَّة ويقال ان محطة الغد ايضاً ليس فيها ماء شروب لذلك تزوَّدنا امس من نهر النكسم ما يلزمنا لشرب اليوم والغد

اما من جهة الحر فقد خرجنا منهُ والحمد لله ومحطة مضربنا اليوم مع كون حرارتها كمعدَّل حرارة بيروت تقريباً في أيام تموز او آب لا تخلو من نسيم بارد يخفف من وطأتها فلم نُقاسِ عذاباً البتَّة . وقد كان حول مضربنا مضارب اخرى جمة بها قوافل وجمال كثيرة منها ذاهبة الى اديس ابابا ومنها قافلة وكلها محمَّلة بضائع كثيرة . وعلى بُعد نحو

ثلث ساعة منًا يوجد محطة للتلفون وحانة يُباع فيها مشروبات وطنية وبعض لوازم الغادين. وتكتنفها قرى من كل صوب

*

عن مضرب منابلّا — الخميس ٣١ أيار

(الرحلة ١٩) رفعنا سرادقنا اليوم قبل الفجر وغادرنا مقامنا قبل بزوغ الغزالة ولكنا اضطررنا ان نبقي هناك خمسة من رجال الحامية لان بغلين من بغالنا قد فُقدا في الليل وهما البغلان اللذان يحملان عربة قرينة الدكتور فيتاليان فاضطرت هذه السيدة ان تمتطي ظهر البغل الى ان يجد الرجال الدابّتين المفقودتين ويأتوا بهما مع العربة التي بقيت في محطة طشوبا

اما الطريق بين هذين المضربين فهو سهل في اوائله جدب التربة على طرفيه ليس فيه مزارع البتة وانما ترى بعض الجبال والاكمات من عن شماله. وقد كشفنا منهُ عن بُعد بحيرة « متاهرا » وموقعها في اواخر الصحراء من جهة الشرق. ثم مررنا على الخربة بلدة عربية قديمة بناها احمد گران في ايام غزواته في الحبشة ثم دثرت بعد ذلك ولم تزل اطلالها وسورها وبابها الذي مررنا في وسطهِ ومقبرة الرجال الذين قُتلوا معهُ في الحرب وتدل على بعضهم علامة مخصوصة قائمة في اعلى القبر وهي حجر كبير فيه خرق مستطيل دلالةً على ان دفين اللحد وكرهُ الرمح. ثم بعد مسير مسافة ليست بالقصيرة بين مزارع القطن صعد بنا الطريق جبلًا فدخلنا بعد وصولنا الى قمتهِ اوائل بلاد المنجار وهي من اخصب بلاد مملكة الشوا التي حللناها منذ خروجنا من الامارة الهررية عند نهر اواش فدخلنا حرجًا كبيرًا مؤلفًا من شجيرات الاكاسيا العربية (acacia arabica) وهي الشجيرة التي يقطر منها الصمغ العربي طولها لا يتجاوز ثلاثة امتار وهي كثيرة الشوك طوياته وذات جذع اصفر مائل للخضرة. وكانت في هذا الحرج الوعول الكبيرة التي هي بحجم العجول تتراكض امامنا فاقتنصنا منها واحدًا وبعضًا من الدجاج البري (pintade) الكثير في هذه الجهة. واخيرًا بعد خروجنا من هذا الحرج وجدنا سهولًا فسيحة فضربنا سرادقنا في محلّة يألفها المسافرون اسمها منابلّا

ومنابلّا سهل متّسع كلهُ صالح للزرع ولكنهُ الآن فارغٌ منهُ لان زمن الحراثة والبذار لم يحن بعدُ في هذا المكان اذ لم يبتدئ هنا الى اليوم موسم الامطار. وترى

هنا وهناك بعضاً من شجيرات الاكاسيا العربيّة التي ذكرناها ثم ادغالاً متواصلة. والسهل يتسع على مدى النظر ولا يُرى لهُ آخر بجرّد العين الّا من الجهة الشمالية حيث يُشاهد عن بُعد طود كبير شامخ يقال لهُ جبل بونكا. وهذا الصقع كثير السكان وكلهم من الاحبرة النصارى ولكل قرية كنيسة وكاهن. امّا الماء فقليل واكثر القرى تجمع مخازن من المطار لورود البهائم الّا ان نهر الكسم الذي تكلمنا عنهُ اول امس يبعد مجراهُ عن معسكرنا مسير نحو ساعة من الزمن ومنهُ يستقي الاهالي لشربهم. وهذا النهر ينبع من فوق معسكرنا الحاضر بمسافة ثلاثة أيام في بلاد المنجار التي نحن الآن في اوائلها. اما درجة الحرارة في هذا المحل فهي متوسطة وتعادل تقريباً معدل حرارة هرر او تزيد عليها باليسير. وقد برد الهواء عند المساء فاضطررنا ان نلبس شيئاً من ملابس الجوخ ومنذ الغد سنعود الى لبس الثياب الدافئة التي القيناها عنّا عند دخولنا ارض الصحراء والعود احمد

*

عن مضرب كودوبوركا — الجمعة ١ حزيران

(المرحلة ٢٠) تابعنا مسيرنا صباح اليوم في سهول بلاد المنجار فكانت مرحلتنا كلها بين الحقول والقرى لم نرَ اشجاراً الّا ما غرسهُ الاهلون حول قراهم وخصوصاً حول الكنائس وما تبقّى فكلهُ سهل مزروع على مدى النظر والطريق تصلح للاوتوموبيل فضلاً عن العربات. وسرنا حتى انتهى بنا كذلك المسير الى جبل مرتفع شاهق اجرد يُشاهد اعلاهُ مكللاً بالصخور كلها الكورنيش امّا سفحهُ فاملس. فضربنا سرادقنا في اسفله عند عين ماء شروب قرب قرية تدعى هي والارض التابعة لها كودوبوركا. اما هذا الطود المنتصب كالسور فيحدّ بلاد المنجار التي اجتزنا امس واليوم طرفاً منها وفي قمتهِ بلدةٌ تدعى بالتشي هي باب مقاطعة الشوا وكانت في السالف حدود مملكة الشوا في عهد الامبراطور يوحنس وكان يتولاها منليك الحالي وكان سبقهُ في ملكها ابوهُ واجداده. فلما تربع هذا في دست الامبراطورية اصبح بدء مملكة الشوا عند نهر اواش وهو الحد القائم بينها وبين الامارة الهررية

*

عن معسكر شونكورا — السبت ٢ حزيران

(المرحلة ٢١) عدنا ولله الحمد الى البلاد المعتدلة من الحبشة بل قل الباردة منها واستبدلنا ملابسنا الخفيفة القطنية التي لبسناها منذ وصلنا الى الصحراء بملابس صوفية دافئة . فقد صعدنا اليوم دفعة واحدة اكثر من ٦٠٠ متر حالما قمنا من گودوبوركا هذا ما عدا صعودنا السابق منذ ان تركنا الصحراء . فكانت الطريق في هذه الطامة مهيبة او بالحري هائلة مخيفة لا يستطيع المسافر ان يمعن نظره في الهاوية العميقة التي كانت من على يميننا لئلا يصيبه دُوار . والغريب من تكوّن هذا المحل بل قل العجيب فيه هو ان الطود منقسم قسمين متقاربين يستطيع الانسان من على قمة الواحد ان يتكلم مع انسان غيره واقف على قمة الجبل الآخر ولكنه يفصل بين هذين الطودين وادٍ مخيف هو الذي ذكرناه يجري في اسفله نهر ماء غزير . ولما وصلنا الى القمة شعرنا بغتة بتغيير الهواء والمناخ واثّر في حواسنا فرق ضغط الجو وكان مقياس العلوّ هناك ٣٢٥٠ مترًا عن سطح البحر . وللاحباش في هذه القمة بلدة تدعى بالتشي كما ذكرنا في مرحلة امس بها محطة للتلفون وهي آخر المحطات بين هرر واديس ابابا لهذا السلك البرقيّ فوقفنا قليلًا راحةً لنا وللبهائم من ضنك ذلك الصعود ثم تابعنا المسير بين الحقول فكان السهل يمتدّ امامنا على مدّ البصر وهو كذلك حتى اديس ابابا يتخلله بعض تموجات قوامها اكمات صغيرة كلها حقول فمررنا على نهرين غزيرين ثم ضربنا خيامنا عند نهر ثالث صغير يدعى شونكورا

شونكورا كلمة حبشيّة ومعناها السكّر وهو اسمٌ أطلق على هذا النهر لعذوبة مائه وهو صافٍ كالزلال يسيل تارة بين صخور صغيرة واخرى بين الاعشاب ويتكون في مسيله بين نحو كيلومتر وآخر صهاريج عميقة صافية الماء صالحة للسباحة . وعلى ضفتي النهر عشب اخضر على مسافة واسعة وهي مرعى للبهائم عندها جعلنا مخاربنا وصرفنا بعد الظهر كله وقد استحممنا في مياه هذا النهر الطيبة فانتعشت بذلك قوانا ولمّا صار الماء شعرنا ببرد قارس واضطررنا ان نلبس اردية ثقيلة دافئة

(التتمّة لعدد آخر)